دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: موقف سيبويه من الاحتجاج النحوي برسم المصحف و أثره في النحو العربي

المصدر: مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس - مصر

المؤلف الرئيسي: المحمودي، أحمد عطية

المجلد/العدد: مج 12, ع 3

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2006

الصفحات: 263 - 315

رقم MD: 140454

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: EduSearch, AraBase

مواضيع: الاحتجاج النحوي، سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، ت. 180 هـ ، اللغة العربية، النحو، الإعراب، الصرف، رسم المصحف، نحو القرآن، إعراب القرآن، ألفاظ القرآن، معاني القرآن، الحروف العربية، القراءات، مخارج الحروف، الاعجاز اللغوي، النحاة العرب

رابط: http://search.mandumah.com/Record/140454

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

موقف سيبويه من الاحتجاج النحوي برسم المصحف وأثره فى النحو العربي

إعداد

الدكتور أحمد عطية المحمودي

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

المقدمة

أنزل الله تبارك وتعالى خير كتبه ، وهو القرآن على أفضل رسله محمد – صلى الله عليه وسلم – وتعهد سبحانه بحفظ هذا الكتاب ، حيث قال : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** (١) .

وقد شغلني أسلوب القرآن الكريم – كما شغل غيري من الباحثين والدارسين قديماً وحديثاً – بما فيه من روعة البيان وفصاحته وإعجازه المتمثل في ألفظه وتراكيبه ، ورسمه .

ورسم المصحف هو ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية وكذلك ما ورد في مصاحف الصحابة رضوان الله عليه . وهو مادة خصبة للبحث اللغوي ، للكشف عن أسراره ، وبيان ما اشتمل عليه من قواعد لغوية يمكن استثمارها في دراسة النحو العربي ؛ لذا كان هذا البحث الذي اشتمل على ما يأتي :

* المقدمة . * التمهيد .
* الفصل الأول : رسم المصحف والاحتجاج النحوي عند سيبويه .
  - المبحث الأول : وضع القواعد النحوية .
  - المبحث الثاني : ترجيح الآراء النحوية.
  - المبحث الثالث : تجاهل سيبويه لبعض قضايا الرسم .
* الفصل الثاني : رسم المصحف والنحو بعد سيبويه .
  - المبحث الأول : موقف النحاة من رسم المصحف .
  - المبحث الثاني : أثر رسم المصحف في النحو . * الخاتمة .

---

(١) الحجر : ٩ .

التمهيد

حافظ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على القرآن الكريم منذ نزول آياته الأولى، حين منع الصحابة من كتابة شيء عنه غير القرآن، يروي أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تكتبوا علي شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه " (١) .

ومن هنا انصرفت همم الصحابة بهذا التوجيه إلى القرآن الكريم للمحافظة عليه في الصدور وفي السطور، حيث كانت هناك مجموعة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكتبون الوحي عند نزوله (٢) ، بيد أن القرآن على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يجمع في مصحف؛ لأن الحاجة لم تكن ماسة إلى ذلك، فالصحابة كانوا يتسابقون في حفظه وكتابته، والرسول – صلى الله عليه وسلم – بين ظهرانيهم ، يتلو عليهم آياته ، ويبين لهم أحكامه (٣) .

وبعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واشتغال المسلمين بالفتوحات حدث ما يدعو إلى جمع المصحف . يروي زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جاء إلى أبي بكر الصديق، وقال له : إن القتل قد

---

(١) تقييد العلم، للخطيب البغدادي، ص ٢٩ .

(٢) يقول ابن فارس :" ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر" الصاحبي، ص ١٨ .

(٣) انظر : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٤ .

أسرع في قراء القرآن الكريم أيام اليمامة، وقد خشيت أن يهلك القرآن، فاكتبه . فقال أبو بكر : فكيف نصنع شيئا لم يأمرنا فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأمر، ولم يعهد إلينا فيه عهدا . فقال عمر : فهو والله خير، وظل عمر يراجع أبا بكر في هذا الأمر حتى دعا أبو بكر زيد بن ثابت، وطلب منه جمع القرآن ، وقام زيد بهذه المهمة ؛ لأنه كان من كتاب الوحي (١) .

فالقرآن الكريم بعمل أبي بكر أصبح مجموعا في صحف ، واحتفظ أبو بكر بهذه الصحف ، ثم بعد ذلك انتقلت إلى عمر، ثم إلى حفصة (رضي الله عنهم جميعا) وحدث في ولاية عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ما يدعو لعمل آخر ، وهو جمع المسلمين على كتاب واحد ، حين " قدم حذيفة بن اليمان على عثمان – رضي الله عنه – والمسلمون يقاتلون في أرمينية وأذربيجان ، فقال : يا أمير المؤمنين إني قد سمعت الناس اختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى ، حتى إن الرجل ليقوم ، فيقول : هذه قراءة فلان . فطلب عثمان من حفصة إرسال الصحف لنسخها في مصحف ، فأرسلت إليه الصحف ، فكلف عثمان لإنجاز هذه المهمة زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله ابن الزبير وابن عباس وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال لهم : انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد ، وإن اختلفتم أنتم وزيد ، فاكتبوه على لسان قريش ، فإنما نزل بلسانها " (٢) .

ونستطيع أن نقف من خلال النص السابق على الأمور الآتية :

---

(١) انظر : المقنع ٣ .

(٢) انظر : المقنع ، ص ٤ .

- أن الخلاف في قراءة القرآن بدأ يأخذ شكلا فيه نوع من التعصب لقراءة ما، وربما أدى ذلك إلى إنكار ما عداها، مع أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف (١). وهي أوجه متعددة لقراءة بعض الكلمات نزلت رخصة وتيسيرا من الله عز وجل رحمة بالأمة (٢) ، والاختلاف بين هذه الأحرف " اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى " (٣) .
- أن عثمان بعمله هذا جمع الناس على مصحف واحد هو المصحف الإمام (٤) ، وأمر بعد ذلك بإحراق الصحف أو المصاحف الأخرى (٥) ، وأرسل إلى كل قطر بنسخة من المصحف الإمام واحتفظ بواحدة عنده .
- أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا قد كتبوا لأنفسهم مصاحف خاصة كل كما سمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومما لا شك

---

(١) جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : " أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف " أخرجه البخاري في فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ٤٩٩١ ومسلم في صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة حروف ٢٧٢/ ٨١٩ .

(٢) انظر : رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص ١٥ .

(٣) النشر ٤٩/١ ،يقول الله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" .

(٤) انظر : المقنع، ص ٢ .

(٥) انظر: السابق ص ٦ .

فيه أنه كان بينهم اختلاف في قراءة بعض الأحرف، يقول مكي : " إن الصحابة - رضي الله عنهم - كان قد تعارف بينهم من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا بما شئتم .. فكان كل واحد منهم يقرأ كما عُلّم وإن خالف قراءة صاحبه " (١) .

- ومن أشهر هذه المصاحف : مصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبي موسى الأشعري، ومصحف المقداد بن عمرو، ومصاحف زوجات رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم (٢) .
- أن هذه المصاحف كان بينها اختلاف، حتى نسخ المصحف الإمام كان بينها اختلاف، يقول أبو عمرو الداني : إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما جمع القرآن في المصاحف، وآثر في رسمها لغة قريش، وثبت عنده أن هذه الحروف الزوائد من عند الله عز وجل، ومنزلة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولما لم يتمكن من جمعها في مصحف واحد فرقها في المصاحف؛ لذلك فجاءت مثبتة في بعضها، ومحذوفة في بعضها، لكي تحفظها الأمة، كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سمعت من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهذا هو سبب اختلاف مرسومها في مصاحف الأمصار " (٣) .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات، ص ١٤ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) انظر : رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص ١٨ .

(٣) المقنع، ص ١١٥ .

وهذا عكس ما قرره الدكتور عبد العال سالم مكرم حيث قال :" ونحن إذا نظرنا إلى هذه المصاحف لا نجد اختلافا كبيرا بينها، وإن وجد بعض الاختلاف فمرجعه ترتيب السور، لا اختلاف النص بالزيادة أو النقصان " (١) .

والذي يتتبع هذا الأمر يجد الاختلاف واضحا، وهذا لا يعيب النص لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فالقرآن الكريم مبرأ من هذا، والدليل على وجود الاختلاف وصية عثمان بن عفان بالاحتكام إلى لغة قريش عند الاختلاف (٢). ومما هو ثابت أن المصاحف العثمانية كتبت مجردة من النقط والشكل، ومتفاوتة في الحذف والإثبات والفصل والوصل (٣) .

من كل ما سبق يتضح أن القرآن الكريم الذي نتلوه الآن هو الذي جمعه عثمان، وتلقفته الأجيال جيلا بعد جيل، وهو النص الموثق الذي نطمئن إلى توثيقه وحفظه لكل ما فيه، وأصبح رسمه بهذه الطريقة الخاصة حجة في كل المجالات التي تتعامل مع النص القرآني، كالقراءات والفقه والنحو والصرف وغيرها من العلوم الأخرى، يقول ابن الجزري :" ما من قراءة قرئت ولا رواية رويت إلا وهي صحيحة إذا وافقت رسم الإمام، ولم تخالف الإجماع "(٤) ،

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٩ . وقد جمع الدكتور محمد سالم محيسن المواضع التي كتبت فيها بعض الكلمات برسمين في المصاحف العثمانية تبعا لقراءتها بقراءات متعددة. انظر الفتح الرباني ص٧٧ وما بعدها.

(٢) انظر : المقنع ١٠ ــ ١١٤ والإتقان ٢/٤٣١ .

(٣) الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، ص٧٣ .

(٤) النشر ١ / ٣٧ .

ويقول الفراء : " والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر " (١) ، وعلى هذا يقول أبو عمرو الداني : " وليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف – رضوان الله عليهم – إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب، وقصدوا به طريقا من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة " (٢) .

فخط المصحف في بعض الأحوال يختلف عن الهجاء العادي، يقول السيوطي : " القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقف عليه، وقد مهد النحاة له أصولا وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام " (٣) ، ويقول مكي بن أبي طالب :"وهذا إنما هو تعليل لخط المصحف، إذ قد أتى على ذلك، ولا سبيل لتحريفه، وهذا الباب يتسع، وهو كثير في الخط، خارج عن المتعارف بين الكتاب من الخط فلابد أن يخرج من ذلك على وجه يليق به (٤) .

والبحث الذي نمهد له يحاول أن يجلي موقف سيبويه من الاحتجاج برسم المصحف، سواء في ذلك ما وجد في مصاحف الصحابة – رضوان الله عليهم أو المصحف الإمام – وكان اختياري لسيبويه؛ لأن كتابه يعد إماما في علوم العربية ، وبخاصة علم النحو، وقد تأثر به كل من اشتغل بهذا الفن، ولابد أن آراءه وآراء أساتذته كان لها أثر كبير عند من أتوا بعدهم .

---

(١) معاني القرآن ١ / ١٤ .
(٢) المحكم، ص ١٩٦ .
(٣) الإتقان ٢ / ٤٣٠ .
(٤) مشكل إعراب القرآن الكريم ٢/ ٧٥٠ .

ومن ينعم النظر في كتاب سيبويه يجد أنه كان من أكثر النحاة تمسكا بالشاهد القرآني، وكان يضعه في المرتبة الأولى؛ لأنه أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل، ولأنه يمثل العربية الأصيلة، والأساليب الرفيعة، ويخاطب العرب بلغتهم وعلى ما يعنون (١) .

هذا هو المسلك الذي سلكه سيبويه مع الشاهد القرآني بوجه عام، فقد كان يحترمه، ويجله، ويقدمه على غيره من الشواهد الأخرى في معظم قضايا الكتاب، ولكن الذي يحتاج إلى تحرير هو موقفه من القراءات القرآنية، خاصة الموافقة لرسم المصحف ، فهناك وجهتا نظر في هذه القضية :

الأولى : يرى أصحابها أن سيبويه قبل القراءات القرآنية ولم يخطئ شيئا منها، يقول الدكتور شوقي ضيف :" وليس في كتاب سيبويه تخطئة واحدة لقراءة من القراءات، مع كثرة ما استشهد به منها، وقد صرح بقبولها جميعا مهما كانت شاذة على مقاييسه، إذ قال : إن " القراءة لا تخالف لأنها سنة " (٢) .

الثانية : يرى أصحابها أن سيبويه لم يقبل جميع القراءات، بل وقف منها مواقف مختلفة، فقد رد بعضها ردا صريحا، ورد بعضها الآخر ردا خفيا، واحتال بالتأويل لنوع ثالث، ويقبل منها ما وافق قوانين النحو التي وضعها، يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري : " وحينما عشت مع سيبويه طويلا تكشفت لي خفاياه وزواياه، ورأيت فيما رأيت أن موقفه من القراءات يتلخص فيما يأتي :

---

(١) انظر : دراسات في كتاب سيبويه، ص ١١ .

(٢) المدارس النحوية، ص١٥٧، وانظر: الكتاب لسيبويه ١/١٤٨ .

١- موقف المعارضة الصريحة لبعض القراءات .

٢- موقف المعارضة الخفية لبعض آخر، بحيث يضع القاعدة النحوية التي تصطدم بالآية دون أن يصرح بالآية نفسها .

٣- موقف التأويل والإخضاع للآيات التي تتعارض مع القاعدة التي صنعوها بأيديهم.

٤- موقف الموافقة على القراءات التي تندرج تحت القاعدة، وتوافق القوانين التي وضعوها للنحو العربي (١) .

ولم أجد حين قراءتي للكتب التي تحدثت عن سيبويه، وعن موقفه من القراءات، أن أجد من يقدم لنا معايير سيبويه التي يستخدمها في قبول القراءات، أو ردها، لكن تجاهل الجميع هذا الأمر المهم، والهدف الذي يسعى إليه هذا البحث سيركز في جانب منه على بيان هذا الأمر، لأنه لا يمكن أن يعقل أن سيبويه يقبل، ويرفض دون أن تكون له معايير يحتكم إليها مع كتاب الله وقراءاته، وبخاصة ما وافق منها رسم المصحف .

والذي يشغلني في هذا الموضوع هو موقفه من رسم المصحف، لأرى كيفية معالجته للقضايا النحوية التي كان سببها في المقام الأول الهيئة التي رسمت بها الكلمات، والطريقة التي أتى عليها التركيب في المصحف، سواء في ذلك المصحف الإمام أو مصاحف الصحابة؛ لأنني على يقين أن هذه المصاحف تمثل

---

(١) انظر : سيبويه والقراءات، ص ٦، ٧ ويقول في موطن آخر :" ومهما يكن من شيء فالذي لا ريب فيه أن سيبويه تصدى للقراءات، وعارضها معارضة شديدة" ص ٥٢ .

مادة لغوية موثقة، ويمكن الاعتماد عليها في الاحتجاج النحوي، وتثبيت القواعد، وعلى هذا يمكن الإفادة منها في تقديم النحو العربي بصورة أفضل، بحيث نضيق الخلاف بين النحاة، وندرس النحو من خلال النصوص بعيدا عن التعليل والتأويل والافتراضات، ويصبح الاعتماد على النص هو الحكم في كل قضاياه .

الفصل الأول

رسم المصحف والاحتجاج النحوي عند سيبويه

المبحث الأول : وضع القواعد النحوية تبعا لرسم المصحف

اعتمد سيبويه في بناء بعض القواعد النحوية على ما ورد في رسم المصحف (١) ، واحتج به حتى ولو لم يوجد معه ما يعضده من الشواهد الأخرى ، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي :

١- عمل " إذن " المسبوقة بعاطف :

يقول الله تبارك وتعالى : " وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا " (٢) .

---

(١) يسوى سيبويه في احتجاجه للقضايا النحوية بين ما ورد في المصحف الإمام ومصاحف الصحابة) رضي الله عنهم جميعا) .

(٢) سورة الإسراء : ٧٦ .

تعرض سيبويه للحديث عن هذه الآية في باب عمل (إذن) وصدر الحديث عنها بقوله : " اعلم أن (إذن) إذا كانت جوابا، وكانت مبتدأة عملت في الفعل " (١).

ثم تحدث بعد ذلك عن جواز إعمالها وإلغائها، فقال : " واعلم أن (إذن) إذا كانت بين الفاء والواو وبين الفعل فإنك بالخيار، إن شئت أعملتها ... وإن شئت ألغيت (إذن) ... فأما الاستعمال فقولك : فإذن آتيَك وإذن أكرمَك . وبلغنا أن هذا الحرف في بعض المصاحف :" وإذن لا يلبثوا خَلْفَك إلا قليلا " وسمعنا بعض العرب قرأها فقال :" وإذن لا يلبثوا " (٢) .

وقفات مع النص :

حدد سيبويه شروطا لعمل (إذن) النصب في الفعل المضارع ، وهي :

- أن تكون جوابا .
- أن تكون في بداية الجملة .
- ألا يفصل بينها وبين معمولها بغير القسم .

وأضاف النحاة شرطا رابعا، ذكره ابن يعيش بقوله : " أن يكون الفعل بعدها مستقبلا (٣) وإن كان هذا الشرط يمكن فهمه من أمثلة سيبويه .

---

(١) الكتاب ٣/١٢ .
(٢) السابق ٣/١٣ .
(٣) شرح المفصل ٥/١٢٧ .

وتحدث سيبويه بعد ذلك عن وقوع (إذن) بعد حرفي العطف (الفاء ، والواو) وسوى في هذه الحالة بين الإعمال والإهمال؛ لأنه قال: " فإنك بالخيار، إن شئت أعملتها، وإن شئت ألغيتها " ولم يرجح بينهما، واستشهد بقراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود (١) - رضي الله عنهما - لقول الله تعالى " وإذن لا يلبثون " بحذف النون على إعمال " إذن " النصب، إما بنفسها أو بأن مضمرة، على خلاف بين النحاة (٢) .

والملاحظ أن سيبويه أكد كلامه بأمرين :

الأول : اعتماده على رسم المصحف، يتضح هذا من قوله :" وبلغنا أن هذا الحرف في بعض المصاحف " وإذن لا يلبثوا " بإعمال إذن مع وقوعها بعد حرف العطف.

الثاني : أنه سمع هذه القراءة من بعض العرب على إعمال (إذن) بعد حرف العطف، وهذا فيه تأييد وتأكيد للقاعدة التي قررها.

معنى ذلك أن رسم المصحف له فضل عناية عند سيبويه، فقد اعتمد عليه في بناء قاعدة نحوية، دون أن يشرك معه شواهد أخرى تعضده، وتأيده .

ومن يتدبر وضع سيبويه لهذه القاعدة يستطيع أن يصل إلى المعايير التي وضعها للقراءات التي يقبلها، وهي :

- صحة السند، يتضح هذا من قوله : بلغنا وسمعنا .

---

(١) انظر : البحر المحيط ٦/ ٨٢ .

(٢) انظر : ارتشاف الضرب ٤ / ١٦٥٠ .

- موافقة رسم المصحف، ونص على هذا صراحة .
- موافقة العربية، يتضح هذا من عملية القياس التي أجراها بين إعمال (أرى ، وحسب) وإلغائهما عند التوسط، وهذا من القواعد المقررة في اللغة وله شواهده المعروفة .

وسار معظم علماء النحو بعد ذلك على سنة سيبويه في جواز إعمال (إذن) وإلغائها إذا وقعت بعد عاطف (١) ، ورجح بعضهم حالة على أخرى ، فالسيوطي يقول : " وإن وليت عاطفا قل النصب، والأكثر في لسان العرب إلغاؤها "(٢) ويقول الرضي : " وارتفاع الفعل بعد العاطف أكثر، ولهذا لم يقرأ " وإذن لا يلبثوا " إلا في الشاذ "(٣) .

ووجه النحاة بعد ذلك القراءتين التوجيهات النحوية المناسبة، وقد لخصها السمين الحلبي بقوله :" قرأ العامة برفع الفعل بعد (إذن) ثابت النون، وهي مرسومة في مصاحف العامة، ورفعه وعدم إعمال (إذن) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها توسطت بين المعطوف والمعطوف عليه ...

الثاني : أنها متوسطة بين قسم محذوف وجوابه، فألغيت لذلك، والتقدير (ووالله إذن لا يلبثون) .

---

(١) انظر : الكشاف ٢ / ٦٤٠، والبحر المحيط ٨٢/٦، وشرح المفصل ٥/ ١٢٧ والمقتضب ٢ / ١٢ ومختصر ابن خالويه، ص ٢٧ .

(٢) الهمع ٢ / ٢٩٦ .

(٣) شرح الرضي، القسم الثاني الجزء الثاني، ص ٨٤٨ .

الثالث : أنها متوسطة بين مبتدأ محذوف وخبره، فألغيت لذلك ... وقرأ أبي بحذف النون، فنصبه بإذن عند الجمهور، وبأن مضمرة بعدها عند غيرهم، وفي مصحف عبد الله (لا يلبثوا) بحذفها، ووجه النصب أنه لم يجعل الفعل معطوفاً ولا جواباً ولا خبراً (١).

٢- (لو) المصدرية :

يقول الله تبارك وتعالى : " ودوا لو تدهن فيدهنون " (٢).

تعرض سيبويه للآية السابقة بالحديث في باب الحروف الناصبة للفعل المضارع ، إما بنفسها ، أو بأن مقدرة بعدها، وهي الواو والفاء ... ، وهذه الآية نص في الحديث عن نصب المضارع بعد فاء السببية، يقول سيبويه في بداية الحديث عن نصب المضارع بعد الفاء " اعلم أن ما انتصب في باب الفاء ينتصب على إضمار أن ، وما لم ينتصب فإنه يَشرك الفعل الأول فيما دخل فيه، أو يكون في موضع مبتدأ ، أو مبني على مبتدأ، أو موضع اسم مما سوى ذلك " (٣) .

فسيبويه يقرر في النص السابق أن الفعل المضارع الواقع بعد فاء السببية، يجوز فيه أمران النصب بأن مضمرة على مذهب البصريين، ويجوز فيه الرفع بتوجيه آخر، ومثل لهذا بقوله :" وتقول : ود لو تأتيه فتحدثه، والرفع جيد

---

(١) الدر المصون ٧/ ٣٩٣ ـــ ٣٩٤ .

(٢) سورة القلم ، ٩ .

(٣) الكتاب ٣ / ٢٨ .

على معنى التمني، ومثله قوله عز وجل : " ودوا لو تدهن فيدهنون " (١) وزعم هارون (٢) أنها في بعض المصاحف " ودوا لو تدهن فيدهنوا " (٣) .

من الواضح أن هذه القضية مرتبطة ببيان حقيقة " لو " في هذا الموضع، وهل هي من الحروف المصدرية أم لا ؟

ذكر ابن هشام في وظائف " لو " " أن تكون حرفا مصدريا بمنزلة (أن) إلا أنها لا تنصب، وأكثر وقوع هذه بعد (ودّ) أو (يودّ) (٤).

وعد الرضي " لو " من الحروف المصدرية إذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمني (٥) .

ويوضح السيوطي حقيقة " لو " في نظر النحاة بقوله : الجمهور : أنها لا تكون مصدرية، بل تلازم التعليق، ويؤيد ذلك أنه لم يسمع دخول حرف جر عليها،وذهب الفراء والفارسي والتبريزي وأبو البقاء وابن مالك إلى أنها قد تكون مصدرية، فلا تحتاج إلى جواب " (٦) .

---

(١) سورة القلم : ٩ .

(٢) هارون بن موسى النحوي البصري صاحب القراءات . روي عن أبي عمرو بن العلاء وابن إسحاق وعبد الله بن أبي إسحاق ، والخليل بن أحمد. انظر : تهذيب التهذيب ١٤/١١ .

(٣) الكتاب ٣٦/٣ وقال الزمخشري : " وتقول : ودّ لو تأتيه فتحدثُه والرفع جيد كقوله تعالى " ودوا لو تدهن فيدهنون " وفي بعض المصاحف " فيدهنوا " التخمير ٣ / ٢٣٩ .

(٤) المغني ١ / ٥٠٢ .

(٥) انظر : شرح الرضي القسم الثاني المجلد الثاني، ص ١٣٨٥ .

(٦) الهمع ٢٦٤/١ ، وانظر شرح الكافية الشافية ٣٢٠/١ .

ورجح ابن هشام رأي الذين قالوا بمصدرية " لو " بقوله :" ويشهد للمثبتين : قراءة بعضهم :" ودوا لو تدهن فيدهنوا " بحذف النون تعطف " يدهنوا " بالنصب على تدهن لما كان معناه أن تدهن " (١) .

وإذا كان هؤلاء العلماء قد أثبتوا لها المصدرية، فهذا الحكم يستلزم شيئا آخر، وهو اتساع معناها، وتفيد على ذلك معنى التمني، يقول ابن يعيش: " (لو) تستعمل بمعنى (أنْ) للاستقبال، فحصل فيها معنى التمني؛ لأنه طلب، فلا تفتقر إلى جواب، وعلى هذا يجوز في الفعل المضارع المذكور بعدها الرفع والنصب، فالرفع على الاستئناف، والنصب على تخيل معنى التمني " (٢) .

ووجه المشابهة بين (لو) و(ليت) هو التقرير، يقول الخوارزمي : " وقد يدخل (لو) معنى التمني، لأنها للتقرير كما أن التمني بـ (ليت) للتقرير" (٣).

فالقضية " إذن " هي توجيه الفعل المضارع الواقع بعد الفاء المسبوقة بلو، ففي بداية الحديث ذكر سيبويه أن هذا الفعل يجوز فيه الرفع والنصب، وأتي على النصب بمثال مصنوع، وأكده بورود مثله في بعض القراءات التابعة لرسم

---

(١) المغني ١/٥٠٤ .

(٢) شرح المفصل ٥ / ١٢٤ وانظر شرح الجمل لابن عصفور ٢/٤٥٥ ، ويقول الرضي : " وقد يستغنى بلو عن فعل التمني، فينصب الفعل بعدها مقرونا بالفاء " ، شرح الرضي القسم الثاني المجلد الثاني، ص ١٣٨٥ .

(٣) التخمير ٤ / ١٥٢ " ومعنى ذلك أنها تكون تمنيا بمنزلة (ليت) في المعنى لا في اللفظ والعمل " رصف المباني ، ص ٣٦٠ .

بعض المصاحف، وهي قوله تعالى : " ودوا لو تدهن فيدهنوا "(١) ، أي " كأنه قال : ودوا أن تدهنَ فيدهنوا " (٢) .

فالفعل المضارع في هذا الموضع نصب بعد فاء السببية، ولم يسبقه تمن حقيقي، ولكن تقدمه ما يفيد معنى التمني، والملاحظ أن سيبويه أثبت هذه القاعدة معتمدا على قراءة موافقة لما ورد في بعض المصاحف، ولم يستخدم شواهد أخرى في تثبيت هذه القاعدة غير ما ورد به الرسم السابق، وسار النحاة بعد ذلك على هدي ما قرر سيبويه، وبحثوا عن التوجيه المناسب لنصب الفعل المضارع في هذا الموضع، يقول أبو حيان :" ولنصبه وجهان : أحدهما أنه جواب (ودوا) لتضمنه معنى (ليت) ، الثاني : أنه على توهم أنه نطق بأن، أي : ودوا أن تدهن فيدهنوا. فيكون عطفا على التوهم، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى (أن) (٣) .

ويقول سيبويه عن رفع الفعل في هذا الموضع بأنه جيد على معنى التمني (٤) ، أي أنها لا تفتقر في هذا الموضع إلى جواب يوجه الفعل المضارع إلى ضبط معين (٥) .

---

(١) انظر الكتاب ٣ /٣٦ .

(٢) شرح الكافية الشافية ١/٣٢٠، وانظر المغني ١/٥٠٤ .

(٣) البحر المحيط ٨/٤٣٦ وانظر الدر المصون ١٠/ ٤٠٢، ٤٠٣ .

(٤) انظر: الكتاب ٣/٣٦ .

(٥) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥ / ١٢٤ .

والملاحظ على صياغة سيبويه لهذه القاعدة أنه جعل الأصل نصب الفعل المضارع الواقع بعد الفاء المسبوقة بفعل يفيد التمني، وأكد القاعدة بما ورد في بعض المصاحف، ثم ذكر أن الرفع في هذا الموضع جيد، ومثل له بما ورد في المصحف الإمام .

٣- قطع المعطوف عن المعطوف عليه :

تحدث سيبويه عن قطع المعطوف عن المعطوف عليه، حيث قال: " ومثل ذلك قول الله عز وجل :" لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة " (١) ، فلو كان كله رفعا كان جيدا " (٢) .

ومثل ذلك قول الله تعالى :" ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس "(٣) .

وقال سيبويه بعد ذلك :" ولو رفع (الصابرين) على أول الكلام كان جيدا، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيدا " (٤) .

---

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

(٢) الكتاب ٢ / ٦٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٤) الكتاب ٢ / ٦٤ .

والملاحظ من خلال الآيتين أن كلمتي (المقيمين) و (الصابرين) لم يَتبعا النسق الإعرابي في الآيتين، حيث جاءتا منصوبتين في سياق الرفع .

وقبل أن أبدأ في التحليل أود أن ألفت إلى أن ورود الكلمتين السابقتين على هذه الصورة أثير حوله كلام كثير لكتابتهما على هذه الهيئة، منه ما رواه يحيى بن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان (رضي الله عنه) أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه، فوجد فيها حروفا من اللحن، فقال اتركوها فإن العرب ستقيمها بلسانها" (١) .

وروي كذلك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة (رضي الله عنها) عن لحن القرآن عن قوله : " إن هذان لساحران " (٢) وعن (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) (٣) وعن إن الذين آمنوا والذين هادوا . والصابئون " (٤) ، فقالت يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتابة " (٥).

وقد رد أبو عمرو الداني على هذه الشبهات، ووضح أن اللحن في قول عثمان لا يراد به الخطأ، وإنما يقصد به أن هناك مواضع يختلف فيها النطق عن المرسوم، ولكن العرب لها طريقتها في التعامل مع هذه الحروف، وكذلك ما جاء في سؤال عائشة - رضي الله عنها - فإنما سئلت عن حروف من القراءة

---

(١) المقنع ، ص ١١٥ .

(٢) سورة طه : ٦٣ .

(٣) سورة النساء : ١٦٢ .

(٤) سورة المائدة : ٦٩ .

(٥) المقنع ، ص ١١٨ .

المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عز وجل لنبيه عليه السلام ولأمته في القراءة بها، تيسيرا لها وتوسعة عليها، وهذا بعيد عن اللحن والخطأ (١) .

فالموازنة في هاتين الكلمتين بين النصب والرفع. والنصب قد ورد في المصحف الإمام، والرفع قد ورد في مصاحف الصحابة يقول أبو حيان :" بالرفع نسقا على الأول، وكذا هو في مصحف ابن مسعود قاله الفراء، وروي أنها كذلك في مصحف أبي " (٢).

والرفع في كلمة (المقيمين) قراءة تابعة لرسم مصاحف الصحابة يقول الزمخشري :" وفي مصحف عبد الله " والمقيمون " بالواو، وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي " (٣) .

وقراءة الرفع لا إشكال فيها، فالكلمة معطوفة على ما قبلها، ولكنها بهذه الصورة لم ترد في المصحف الإمام وإنما وردت في مصاحف الصحابة، ومع ذلك قال سيبويه : " فلو كان كله رفعا كان جيدا " (١) .

---

(١) انظر: المقنع، ص ١١٥ وما بعدها، ويقول الزمخشري ولا تلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب مع الاختصاص من الافتنان، وغبى عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله كلمة ليسدها من بعدهم وحرفا يرفوه من يلحق بهم " الكشاف ١ / ٦٢٣ .

(٢) البحر المحيط ٥٥٨/٣، وانظر الدر المصون ٤ / ١٥٥ .

(٣) الكشاف ٦٢٣/١ .

أما قراءة النصب فهي تابعة للمصحف الإمام، ولكنها بحاجة إلى توجيه، لكي تنسجم إعرابيا في نسق الآية، وهي بهذه الهيئة يجوز أن توجه إعرابيا على النصب أو الجر .

فالنصب من قبيل قطع المعطوف عن المعطوف عليه وتكون حينذاك منصوبة بفعل محذوف، وهذا القطع يفيد التعظيم والمدح، وهذا ما جعله سيبويه عنوانا لهذا الفصل .

وأما الجر فقد وجهه العلماء على أربعة أوجه :

أولا : العطف على (ما) وتقديره : يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة من الأنبياء .

ثانيا : العطف على الكاف في (إليك) وتقديره : بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة .

ثالثا : العطف على الكاف في (قبلك) وتقديره : ومن قبلك وقبل المقيمين الصلاة من أمتك (٢) .

رابعا : العطف على (هم) في (منهم) وفي هذا التوجيه والذي قبله عطف ظاهر على مضمر (٣) .

---

(١) الكتاب ٢/٦٣ .

(٢) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١ / ٢١٣ .

فسيبويه يقبل ما ورد في المصحف الإمام، وهو النصب، ويوجهه نحويا على إفادة معنى لا يمكن إدراكه من خلال توجيه الرفع، ومع ذلك فهو يصف ما ورد في المصاحف الأخرى، وهو الرفع بالجودة، لأنه يسير مع عناصر تراكيب الآية على نسق واحد، فموقف سيبويه واحد في احتجاجه بما ورد في المصحف الإمام، وكذلك ما ورد في مصاحف الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ فهو يحترم كل ما وافق رسم المصحف، ويحتج به، ويبني عليه القواعد النحوية أو يؤكدها .

وسار العلماء بعد ذلك على نهج سيبويه في توجيه بعض القراءات على قطع النعت عن المنعوت لإفادة غرض بلاغي، وقد تحقق هذا في بعض القراءات للآيات الآتية :

- " فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيل وأعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرةٌ ومنها تأكلون. وشجرةً " (١) حيث قرئت " شجرةٌ " بالرفع (٢) وهي رواية عن نافع .
- " خلق الإنسانَ من نطفة ... والأنعام خلقها ... والخيل والبغال والحمير " (٣) في قراءة من رفع " والخيلُ والبغالُ والحميرُ " (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون: ١٩، ٢٠ .

(٢) انظر : مختصر شواذ القرآن، ص ٩٧، ومعاني القرآن للفراء ٢٣٣/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١٠٣/٢ .

(٣) سورة النحل: ٣ ــ ٨ .

(٤) انظر: القرطبي ١٠/ ٧٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٩٧ .

- " إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة " (١) في قراءة من رفع " والطيرُ " (٢) ، وغيرها كثير من الآيات التي قطع فيها المعطوف عن المعطوف عليه (٣).

المبحث الثاني

ترجيح الآراء النحوية

سعى سيبويه جاهدا في بناء القواعد النحوية، مستخدما كل أنواع السماع من نثر وشعر، وفي هذا الموطن كان يحرص على تأكيد ما قرره، وتقويته بما ورد في المصحف الإمام أو مصاحف الصحابة ؛ لأنها نصوص لغوية موثقة، ولا يمكن إهمالها، أو تجاهلها بحال من الأحوال، ويمكن التمثيل لهذا التوجه بما يأتي :

١- تعدد الخبر :

عقد سيبويه في كتابه بابا عن جواز رفع الاسم المنصوب على الحالية الواقع بعد معرفة، قال فيه (٤) : " وذلك قولك : هذا عبد الله منطلق، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب، وزعم الخليل - رحمه الله - أن رفعه يكون على وجهين : فوجه أنك حين قلت : هذا عبد الله أضمرت (هذا أو

---

(١) سورة ص : ١٨ ، ١٩ .

(٢) مختصر شواذ القرآن، ص ١٢٩، ومعاني الفراء ٢ / ٤٠١ .

(٣) انظر: القراءات الشاذة، ص ٤٢١ وما بعدها .

(٤) الكتاب ٢/٨٣ ، ٨٤ .

هو) كأنك قلت : هذا منطلق أو هو منطلق . والوجه الأخر : أن تجعلهما جميعا خبرا لهذا كقولك هذا حلو حامض ... وقال الله عز وجل " كلا إنها لظى . نزاعةٌ للشوى "(١) وزعموا أنها في قراءة أبي عبد الله (ابن مسعود) : " هذا بعلي شيخ " (٢) قال سمعنا من يروي هذا الشعر من العرب يرفعه :

مَن يكُ ذابت فهذا بتي
مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّي (٣)

فسيبويه في هذا النص يقرر أمر قاعدة نحوية، وهي جواز رفع الاسم النكرة الذي يجيء منصوبا على الحال، واستشهد على القاعدة بما يلي :

أولا : السماع عن العرب الموثوق بهم، لأنه قال :" حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب " لكن لم يرو ما سمعاه .

ثانيا : القرآن الكريم، وهو قول الله تعالى " كلا إنها لظى . نزاعةٌ للشوى " ثم قوى هذا الشاهد بشاهد آخر ذكر في مصاحف الصحابة وهو قوله تعالى: " وهذا بعلي شيخ " حيث وجدت مرفوعة في مصحف ابن مسعود (٤).

ثالثا : الشعر وهو قول رؤبة السابق .

---

(١) سورة المعارج: ١٥ .

(٢) سورة هود: ٧٢، وقراءتها بالرفع نسبت إلى عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب والأعمش . انظر: معاني القرآن للفراء ٣٢/٢ ، والمصاحف، ص ٦٣، والبحر المحيط ٥/ ٢٤٤، والجامع ٧٠/٩ .

(٣) ملحقات ديوان رؤبة١٨٩، والكتاب ٨٤/٢ .

(٤) انظر: البحر المحيط ٣١٩/٥، يقول أبو حيان :" وقرأ ابن مسعود وهو في مصحفه والأعمش " شيخ " بالرفع " .

وبالنظر في طريقة رصده للشواهد السابقة نرى أنه يعلي من شأن الشاهد القرآني، ويؤكده بشاهد آخر أخذ من مصاحف الصحابة، وهذا فيه تثبيت وتقوية للقاعدة النحوية، ثم بعد ذلك يذكر الشاهد الشعري .

وهنا يجب أن ننبه إلى شيء مهم، وهو أن الآية الأولى جاءت مرفوعة على بعض القراءات، فكلمة (نزاعة) قرأها حفص بالنصب وقرأها الباقون بالرفع (١) لكن صورة الكلمة بدون الضبط واحدة، فجاء لها بنظير يقويها ويؤكدها، لأن كلمة (شيخ) بالرفع تختلف عن (شيخا) بالنصب التي وردت في مصحف ابن مسعود .

وعندما توافق القراءة رسم المصحف تكون عند سيبويه في أعلى المراتب .

ولم يكتف سيبويه بتأكيد القاعدة التي وضعها، بل ذهب يوضح الأوجه الإعرابية للرفع ، فقدم الخليل لها توجيهين، وأوصلها العلماء من بعده إلى أربعة ، هي :

- أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا أو هو .
- يكون من تعدد خبر المبتدأ مثل هذا حلو حامض .
- خبر عن المبتدأ و(بعلي) عطف بيان من هذا .
- بدل من بعلي (٢) .
- بعلي مبتدأ، وشيخ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول (٣) .

---

(١) انظر: كتاب التذكرة في القراءات ٢ /٧٣٠ .

(٢) انظر : شرح المفصل ٩/٢، وانظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٨٠ .

(٣) الدر المصون ٦ / ٣٥٧ ،وقد أوصلها العكبري في الإملاء إلى سبعة أوجه .

وخرج على هذا الرسم كذلك قول الله تعالى : " هذا ما لديّ عتيد "(١) يقول سيبويه : " وأما هذا ما لدي عتيد، فرفعه على وجهين، على : شيء لدي عتيد، وعلى : هذا بعلي شيخ "(٢) .

فالآية الأولى قراءة مشهورة، يخرجها على أقل منها في الشهرة، حيث قرأها بعض الصحابة على هذه الهيئة، لكن الذي أعطاها هذه الأهمية، وجعل سيبويه يتخذها معيارا يقيس عليها القراءات المشهورة، هو وجودها في مصحف ابن مسعود على هذه الهيئة .

٢ - تضمين الفعل اللازم معنى فعل متعد :

ذكر سيبويه في باب عطف الاسم المنصوب على اسم مجرور، أنه يكون بتضمين الفعل الأول معنى فعل يصل بنفسه إلى المفعول، وفي بنائه لهذه القاعدة استخدم في البداية مثالا مصنوعا، يتضح هذا من قوله : " ولو قلت : مررت بعمرو وزيدا لكان عربيا : فكيف هذا ؟ لأنه فعل والمجرور في موضع مفعول منصوب، ومعناه : أتيت ونحوها، تحمل الاسم إذا كان العامل الأول فعلا، وكان المجرور في موضع المنصوب على فعل لا ينقض المعنى "(٣) .

وبعد ذلك ذكر شاهدين لتأكيد القاعدة ، هما :

---

(١) سورة " ق" : ٢٣ .

(٢) الكتاب ٢ / ١٠٦ .

(٣) الكتاب ١ / ٩٤ .

قول جرير :

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثلَ أسرةِ منظورِ بن سيّار (١)

وقول العجاج :

يَذْهَبْنَ في نَجْدٍ وغَوْرًا غائرا (٢)

ثم قوى هذه القاعدة بقراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود التي وردت في مصحفيهما لقول الله تعالى " وحور عين " (٣) بالنصب " وحورا عينا " ولهذا يقول مكي بن أبي طالب في توجيه النصب : " ويجوز النصب على أن يحمل على المعنى أيضا؛ لأن معنى يطوف عليهم بكذا وكذا : يعطون كذا وكذا ، ثم عطف (حورا) على معناه "(٤) ويقول أبو حيان : " وقرأ أبي وعبد الله (وحورا عينا) بنصبهما، قالوا : على معنى : ويعطون هذا كله وحورا عينا "(٥) .

٣- (أن) المخففة من الثقيلة الواقعة بعد اليقين :

تحدث سيبويه عن (أن) المخففة من الثقيلة، ومثل لها بأمثلة مصنوعة وبآيات من القرآن الكريم، ومن هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى : " لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء "(٦) ، ثم قال بعد ذكر هذه الآية: " وزعموا

---

(١) ديوان جرير ١/٢٣٧، والكتاب ١/٩٤ .

(٢) الكتاب ١/ ٩٤ .

(٣) الواقعة : ٢٢ .

(٤) مشكل إعراب القرآن الكريم ٢ /٧١٢ .

(٥) البحر المحيط ٨/ ٢٩٢ .

(٦) سورة الحديد: ٢٩ .

أنها في مصحف أبي : " أنَّهم لا يقدرون " وليست (أن) التي تنصب الأفعال تقع في هذا الموضع ، لأن ذا موضع يقين وإيجاب " (١) .

وقد اختلف النحاة في عمل (أنْ) المخففة من الثقيلة، فقال الكوفيون: إنها لا تعمل؛ لأنها عملت لشبهها الفعل الماضي في اللفظ، فهي على ثلاثة أحرف مثله، وهي كذلك مبنية على الفتح، كما أنه مبني على الفتح، وعند تخفيفها يزول شبهها به؛ ولهذا بطل عملها (٢) .

وقال البصريون : إذا خففت (أنْ) بقيت على عملها، ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفا، وجعل سيبويه (أن) المذكورة في الآية السابقة مخففة من الثقيلة معتمدا على أمرين :

الأول : أن الموضع الذي وردت فيه (أن) هو موضع يقين وإيجاب ، وهذا من المواضع التي تخص (أنّ) الداخلة على الجملة الاسمية، ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني : اعلم أن العلم من مواضع التقدير والتحقيق، و(أنّ) المشددة تفيد التوكيد، وإذا كان كذلك وجب أن تقرن المشددة بما كان تقريرا (٣).

ويؤكد ابن هشام على وقوعها بعد ما يفيد اليقين بقوله :" أن تكون مخففة من الثقيلة، فتقع بعد فعل اليقين، أو ما نزل منزلته "(٤) .

---

(١) الكتاب ٣ / ١٦٦ .

(٢) ورد البصريون على أدلة الكوفيين، وأثبتوا لها العمل الظاهر : الإنصاف ١/ ١٨٢ ، والجنى الداني في حروف المعاني، ص ٨٧ .

(٣) انظر : المقتصد في شرح الإيضاح ١/ ٤٨٢، ٤٨٣ .

(٤) المغني ١/٧٢ .

فهذا الموضع لا تقع فيه (أنْ) الناصبة للمضارع، ولذلك قال السمين الحلبي في قراءة (أن لا يقدروا) بحذف النون، وجعل (أن) الناصبة للفعل المضارع :" وهذا شاذ جدا؛ لأن العلم لا تقع بعده الناصبة " (١) ، ولهذا قال سيبويه بعد ذكر الآية وهيئتها في مصحف أبي : " وليست (أن) التي تنصب الأفعال تقع في هذا الموضع؛ لأن ذا موضع يقين وإيجاب " (٢) .

الثاني : الإشارة إليها قبل التخفيف، أي : عندما كانت مشددة، واسمها ظاهر، ورسمها بهذه الهيئة وجد في مصحف أبي بن كعب – رضي الله عنه – " أنّهم لا يقدرون " وبهذا يؤكد سيبويه على أن (أن) الواردة في هذه الآية هي المخففة من الثقيلة، وليست الناصبة للفعل المضارع ، وذلك تبعا لرسمها في مصحف من مصاحف الصحابة .

و (أنْ) المخففة في هذه الآية وقع بعدها الفعل ، وفي هذه الحالة يجب أن تفصل (أن) عن الفعل بواحد من : (لا ، قد ، سوف ، السين) (٣) ، ويبقى عملها " ، لأن الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شيء لم يغير عمله " (٤) .

---

(١) الدر المصون ١٠ / ٢٦٠ .

(٢) الدر المصون ١٠ / ٢٦٠ .

(٣) انظر المقتصد في شرح الإيضاح ١ / ٤٨٤ ، وهذه الحروف عوض عما حدث للحرف، يقول عبد القاهر :" (أنْ) لحقها في ذلك الموضع ضربان من التغيير أحدهما الحذف والآخر وقوع الفعل بعدها " .

(٤) الكتاب ٢ / ١٤٠ .

وعند حذفها لا تعمل في الاسم الظاهر " لأن تخفيفها أوجب حذفه؛ لأنه بالتخفيف زال الاختصاص بالأسماء لفظا "(١) ، ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفا، وورودها في مصحف أبي بهذا الرسم يقوي موقف البصريين من إعمال (أنْ) عند تخفيفها، وهناك أدلة أخرى ذكرها الأنباري في الإنصاف (٢) .

٤- عمل (ما) الحجازية :

يقول سيبويه في باب الحروف العاملة عمل ليس :" هذا باب ما أجري مجرى " ليس " في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله، وذلك الحرف " ما " تقول : ما عبد الله أخاك، وما زيد منطلقا، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أمّا وهل، أي : لا يعملونها في شيء، وهو القياس ... وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها "(٣) .

اختلف الحجازيون وبنو تميم في عمل " ما " ، وهي تنسب دائما للحجازيين، لأنهم يعملونها عمل ليس ، فترفع المبتدأ ، وتجعله اسما لها ، وتنصب الخبر، وتجعله خبرا لها ، أما بنو تميم فيهملونها ، ويقرؤون على سجيتهم تراكيبها بدون إعمال ، لكن من أراد القراءة في المصحف فعليه اتباع

---

(١) انظر رصف المباني، ص ١٩٥ .

(٢) انظر : الإنصاف ١ / ١٩٠، والتبيين ٣٥٠، ومغني اللبيب ١ / ٧٢ .

(٣) الكتاب ١ / ٥٧ ويقول المبرد :" وذلك أنهم رأوها في معنى (ليس) تقع مبتدأة، وتنفي ما يكون في الحال، وما لم يقع، فلما خلصت في معنى (ليس) ودلت على ما تدل عليه، ولم يكن بين نفييهما فصل البتة حتى صارت كل واحدة تغني عن الأخرى أجروها مجراها" المقتضب ٤ / ١٨٨ .

رسمه ، حتى ولو كان من بني تميم ، يقول سيبويه : " ومثل ذلك قوله عز وجل " ما هذا بشرا " (١) في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف " (٢) .

ويؤكد الزمخشري على عمل (ما) في لغة الحجازيين، ومع ذلك لانعدم وجود بعض القراءات التابعة للغة بني تميم حيث يقول :" وإعمال " ما " عمل " ليس " هي اللغة القدمى الحجازية، وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى " ما هن أمهاتهم " (٣) ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ " بشر " بالرفع، وهي قراءة ابن مسعود " (٤) .

والملاحظ أن سيبويه يجعل لغة بني تميم أقيس، ويجعل ابن يعيش لغة الحجازيين أفصح لأن " ما " حرف نفي يدخل على الأسماء والأفعال وقياسه أن لا يعمل شيئا، وذلك لأن عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال، وعوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء، والحرف غير المختص لا يعمل، وهذا هو القياس في " ما " غير أن أهل الحجاز يشبهونها بليس. فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح، وبها ورد الكتاب العزيز (٥) .

---

(١) سورة يوسف: ٣١ .

(٢) الكتاب ١ / ٥٩ .

(٣) سورة المجادلة: ٢ .

(٤) الكشاف ٢ / ٤٤٠ ، وانظر: الدر المصون ٦ / ٤٨٩ .

(٥) انظر: شرح المفصل ١ / ٢٦٨ .

فخط المصحف عند سيبويه هو المقدم حتى ولو كان متعارضا مع القياس، ويجب على من يقرأ في كتاب الله أن يحقق الرسم حتى ولو كان مغايرا لعادته التي جبل عليها لغويا .

٥- الفعل المضارع المعتل الآخر المرفوع في الفواصل القرآنية :

اختص الفعل المضارع دون غيره من الأفعال بالإعراب، حيث يتغير آخره تبعا لموقعه في الجملة، فيرفع عند عدم سبقه بناصب أو جازم، وينصب إذا سبق بناصب، ويجزم إذا سبق بجازم، وإذا كان معتلا يجزم بحذف حرف العلة .

وفواصل الآيات القرآنية (١) لها خصوصية في تعاملها مع تراكيب اللغة، وذلك لما فيها من الانسجام الصوتي الذي يبرز المعنى المراد، ويؤكده، وللوصول إلى تحقيق هذا العنصر قد يضحى ببعض العناصر اللغوية التي يمكن فهمها من خلال تدبر السياق العام، ولهذا يقول سيبويه: " وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي " (٢) ، وجمع على هذه الظاهرة عددا من الآيات القرآنية حذف حرف الإعراب من الفعل المضارع الواقع فاصلة، وهو ليس مجزوما، وأقر هذا سيبويه تحقيقا لمبدأ الانسجام الصوتي، واتباعا لرسم المصحف؛ لأن هذه الآيات وردت بهذا الرسم في المصحف الإمام .

---

(١) يقول ابن يعيش :" المراد بالفواصل القرآنية رؤوس الآي ومقاطع الكلام، وذلك أنهم قد يطلبون منها التماثل، كما يطلب في القوافي " شرح المفصل ٥ / ٢٢٨ .

(٢) الكتاب ٤/ ١٨٤، ١٨٥ .

ومن الآيات التي ذكرها سيبويه لبيان أثر الفواصل على عناصر التركيب قول الله تبارك وتعالى : " ذلك ما كنا نبغ "(١) .

والملاحظ أن سيبويه يرجح القراءة بغير الياء تبعا لرسم المصحف، ومراعاة للانسجام الصوتي في فواصل الآيات، وفرق العلماء بعد ذلك بين الوصل والوقف، يقول الزمخشري : " وقرئ (نبغ) بغير ياء في الوصل ، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف "(٢) ، ويقول أبو حيان :" وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لرسم المصحف "(٣) ، ويوضح السمين الحلبي القراءات الواردة في الآية وقفا ووصلا بقوله : " حذف نافع وأبو عمرو والكسائي ياء (نبغي) وقفا وأثبتوها وصلا، وابن كثير أثبتها في الحالين، والباقون حذفوها في الحالين اتباعا للرسم "(٤) .

---

(١) سورة الكهف : ٦٤ ، وذكر آيات أخرى في هذا الموضع هي (والليل إذا يسر) سورة الفجر: ٤ و" يوم التنادِ" سورة غافر: ٣٢ و" الكبير المتعال " سورة الرعد: ٩. انظر: الكتاب ٤ / ١٨٥، ويعلق السمين الحلبي على هذه الآيات بقوله :" وحذفها في الحالين الباقون لسقوطها في خط المصحف الكريم وإثباتها هو الأصل؛ لأنها لام فعل مضارع مرفوع، وحذفها لموافقة المصحف، وموافقة رؤوس الآي، وجريا بالفواصل مجرى القوافي " الدر المصون ١٠/ ٧٨٠، ٧٨١ .

(٢) الكشاف ٢ / ٦٨٥ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ١٨٢ .

(٤) الدر المصون ٧ / ٥٢٤ .

فسيبويه يتمسك بالرسم تحقيقا لعنصر الانسجام الصوتي ولم يفرق في كلامه بين الوقف والوصل، وهذا يؤكد احترامه لخط المصحف ويوضح قوة احتجاجه به .

المبحث الثالث

تجاهل سيبويه لبعض قضايا رسم المصحف

ومن ينعم النظر في موقف سيبويه من الاحتجاج برسم المصحف يتأكد لديه أنه كان انتقائيا، فعلى الرغم من أنه استخدم الرسم في الاحتجاج على بعض القضايا النحوية، فقد تجاهل الرسم في بعض المواضع، على الرغم من شهرتها بين العلماء، وتعد من المسائل الخلافية، ولنوضح هذا من خلال بيان موقفه من تحليل الآيات الآتية :

١- يقول الله تبارك وتعالى :" ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون " (١) .

فقد وجه سيبويه هذه القراءة بقوله :" إن شئت كان على الإشراك وإن شئت كان على أو هم يسلمون " (٢) ، ونقل محقق الكتاب تفسير السيرافي لقول سيبويه الآتي : " الثاني عطف على الأول، والذي يقع من ذلك أحد الأمرين : إما القتال وإما الإسلام، وذكر أن في بعض المصاحف " أو يسلموا " ويسلموا نصب

---

(١) سورة الفتح ١٦ .

(٢) الكتاب ٣ /٤٧ .

على معنى (إلا أن) فيجوز أن يقع القتال بما يرتفع بالإسلام (١) ، وبهذا التحليل يكون سيبويه قد تجاهل قراءة أخرى تابعة لأحد مصاحف الصحابة وقد قرأ بها أبي بن كعب وهي " أو يسلموا " بمعنى إلى أن يسلموا (٢) .

ويقول أبو حيان :" وقرأ الجمهور " أو يسلمون " مرفوعا وأبي وزيد بن على : بحذف النون منصوبا بإضمار (أن) في قول الجمهور من البصريين غير الجرمي، وبها في قول الجرمي والكسائي، وبالخلاف في قول الفراء وبعض الكوفيين، فعلى قول النصب بإضمار (أن) هو عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم " (٣) ، والملاحظ أن سيبويه أورد هذه الآية في قاعدة نحوية قراءة النصب نص فيها، وهي نصب الفعل المضارع بعد " أو " ولكنه تجاهل قراءة النصب، ووجه قراءة الرفع التوجيه النحوي المناسب . وربما تكون شهرة قراءة الرفع هي التي حدت بسيبويه أن يسلك هذا المسلك؛ لأنها قراءة الجمهور، وهكذا رسمت في المصحف الإمام .

٢- يقول الله تبارك وتعالى : " وكذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤُهم " (٤) .

أورد سيبويه هذه الآية في معرض حديثه عن جواز حذف الفعل وترك الفاعل مرفوعا، واستشهد بها على قراءة الحسن والسلمي وأبي عبد الملك قاضي

---

(١) هامش السابق .

(٢) الكشاف ٤ / ٣٤١ .

(٣) البحر المحيط ٨ / ١٣٤ .

(٤) سورة الأنعام : ١٣٧ .

الجند صاحب ابن عامر : " وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤهم " (١) ثم علق سيبويه على هذه القراءة بقوله : " رفع الشركاء على مثل ما رُفع عليه (ضارعٌ) " (٢) .

وجعل سيبويه (شركاؤهم) على هذه القراءة فاعلا لفعل مضمر، أي زينه شركاؤهم، وجعله قطرب فاعلا للمصدر، فعلى توجيه سيبويه الشركاء مزينون لا قاتلون، وعلى توجيه قطرب الشركاء قاتلون (٣) .

هذه هي القراءة التي حللها سيبويه، ووجهها نحويا، وتجاهل القراءات الأخرى الواردة في الآية ، ومن بينها قراءة تابعة لبعض المصاحف ، يقول الفراء : " وفي بعض مصاحف أهل الشام " شركايهم " بالياء (٤) وهي قراءة ابن عامر برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف "(٥) .

---

(١) انظر: البحر المحيط ٤/ ٢٩٧ ، والمبسوط في القراءات العشر ١٧٥، والنشر ٢/ ٢٥٣ وفيه كلام مطول عن فضل ابن عامر وحجة قراءاته وصحتها .

(٢) الكتاب ١/ ٢٩٠ يقصد (ضارع) الواردة في بيت الحارث بن نهيك :

ليبك يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

والشاهد فيه رفع ضارع بإضمار فعل دل عليه ما قبله. انظر: الكتاب ١/ ٢٨٨، والخزانة ١/ ١٤٧ .

(٣) انظر البحر المحيط ٤ / ٢٩٧ .

(٤) معاني القرآن ١/ ٣٥٧ .

(٣) انظر الكشاف ٢ / ٥٥ . وجه الفراء الشركاء في الآية على قراءة ابن عامر على أنها بدل من الأولاد وبدل المجرور مجرور مثله وليس هنا فصل بين المضاف والمضاف إليه " انظر معاني الفراء ١ / ٣٥٧ .

ويفسر الزمخشري سلوك ابن عامر في قراءته هذه بقوله :" والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركايهم) مكتوبا بالياء " (١) .

فقد تجاهل سيبويه هذه القراءة على الرغم من أن رسم المصاحف الخاصة أثبتها، والسبب في ذلك ــ والله أعلم ــ أنها ليست قراءة الجمهور، وفيها الفصل بين المصدر وفاعله بالمفعول، ويقول الزمخشري عن هذا السلوك اللغوي " فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا .. فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته " (٢) ، ويقول أبو حيان في هذه القضية : " فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصحيح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب (٣) .

ومع هذا فإن موقف سيبويه العام هو قبول هذه الحروف، وكان يعمل جاهدا على أن " يوسع لها في بناء الأصول النحوية، وفي طرائق الاستدلال، مثل سائر المصادر مادامت توافق مقياسه . وقد تجلى ذلك أكثر ما تجلى في اعتماده على كثير من الحروف التي يوقن بأنها مخالفة لرسم مصاحف المسلمين (٤) .

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٥ .

(٢) السابق .

(٣) البحر المحيط ٤ / ٢٩٧ .

(٤) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص ١١٦ .

الفصل الثاني

رسم المصحف بعد سيبويه

المبحث الأول : موقف النحاة بعد سيبويه من رسم المصحف

اتضح مما سبق أن سيبويه احتج برسم المصحف، واهتم بتوجيه الحروف المخالفة لنسق الإعراب، ولم يفرق في مسلكه بين ما ورد في المصاحف العثمانية، وما ورد في مصاحف الصحابة فكلها نصوص موثقة صحيحة، ولهذا يجب الاحتجاج بها في مجال اللغة .

وهذا الموقف كان له أثر كبير في سلوك العلماء الذين أتوا بعده، فقد تمثلوا موقفه من هذه الحروف، وأصبحت محل اهتمام منهم، يبنون عليها قواعدهم، ويؤكدون بها قواعد أخرى، ويخرجون عليها قراءات مشهورة، كما فعل سيبويه من قبل، ويكفي في هذا المجال أن نذكر بعض المواقف لبعض العلماء لندلل على ما قلنا .

- سار الأخفش الأوسط على النهج الذي ورثه عن أستاذه سيبويه (١) حيث نراه يقبل القراءات التابعة لرسم المصحف، مسويا بين ما ورد في المصاحف العثمانية، وما ورد في مصاحف الصحابة، ويحاول جاهدا توجيهها التوجيه النحوي المناسب، فيعلق عل ما جاء في مصحفي عبد الله بن مسعود وأبي بن

---

(١) انظر : القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص١٢٢ فقد عقد المؤلف مقارنة بين كتاب سيبويه ومعاني الأخفش ذكر فيها عددا من المواضع التي سار فيها الأخفش على منهج سيبويه .

كعب في قراءة (فأصدقَ وأكونَ) بقوله :" عطفها على ما بعد (الفاء) وذلك خلاف الكتاب " (١) .

* ويقبل قراءة الحسن ويعقوب (٢) لقوله تعالى : " فأجمعوا أمركم وشركاؤكم " (٣) لأن في القرآن ما يشبه هذا التركيب وهو قوله تعال :

" أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون " (٤) ، لأنه فصل بالمفعول (٥) .

* ويقبل الكسائي كل القراءات التابعة لرسم المصحف، ويحتج لها، ويوجهها، يقول الدكتور محمود أحمد الصغير عن موقف الكسائي من القراءات النادرة والمخالفة لرسم المصحف الإمام " فلم نجده يرد واحدة منها، بل كان يقبلها جميعا، ويوجهها وفق مذهبه النحوي، ويبني من خلالها بعض القواعد الجديدة " (٦) .

ولمزيد من التعرف على موقفه يمكن مراجعة آرائه في القراءات الآتية : " إنا كلا فيها " (٧) و" كن فيكون " (٨) و " تقاتلونهم أو يسلموا " (٩) .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) المبسوط في القراءات العشر ٢٠١ ، والنشر ٢ / ٢٨٥ .

(٣) سورة يونس : ٧١ ، والقراءة المشهورة (وشركاءكم) .

(٤) سورة النمل: ٦٧ .

(٥) انظر: معاني الأخفش ٣٤٦ ، وانظر موقفه من القراءات في كتاب القراءات الشاذة ص ١١٨ وما بعدها .

(٦) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ١٢٣ .

(٧) سورة غافر : ٤٨ ، وانظر البحر المحيط ٧ / ٤٦٩ .

(٨) سورة البقرة : ١١٧ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ / ٧٥ .

(٩) سورة الفتح : ١٦ ، وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي ٢ / ٣١١ .

* وللفراء مواقف متميزة من القراءات الموافقة لرسم المصحف ، فقد أعرب في أكثر من مرة بأن لغة القرآن هي المقدمة على غيرها، فمن أقواله : " الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر " (١) وقوله : " ولست أشتهي أن أخالف الكتاب " (٢) ، وقوله : " ولست أشتهي ذلك ولا آخذ به . إتباع رسم المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القرآن أحب إلى من خلافه " (٣) ، ويتضح هذا من تعليقه على القراءات الآتية :

" ما ننسخ من آية أو ننسها " (٤).

" ما ننسك من آية أو ننسخها " (٥).

" ما ننسخ من آية أو ننسكها " (٦) .

" أو ننسأها " .

بقوله : " وكل حسن " (٧) على الرغم من أنها مخالفة لما عليه المصحف الإمام، ويخرج الرفع في قوله تعالى : " هدى ورحمةٌ للمحسنين " (٨) على قراءة عبد الله بن مسعود " وهذا بعلي شيخٌ " (٩) .

---

(١) معاني القرآن ١ / ٤ .

(٢) السابق ٢ /١٨٣ .

(٣) السابق ٢ / ٢٩٣ .

(٤) سورة البقرة: ١٠٦ .

(٥) قراءة عبد الله بن مسعود .

(٦) قراءة سالم مولى أبي حذيفة .

(٧) معاني الفراء ١ / ٦٤ وانظر : المبسوط في القراءات العشر ١٢١ .

(٩) سورة لقمان : ٧ .

ولهذا يقول الدكتور محمود أحمد الصغير : " لقد وقف الفراء من هذه الحروف موقف الإجلال والاحترام في منهجه النحوي، فأوسع لها، وانتصر لها، واستأنس بها على نحو فاق فيه كل النحاة قبله وبعده، فقد أكثر من إيرادها في أثناء حديثه عن الآيات القرآنية "(١) .

* وأبو جعفر النحاس يوجه قراءة أبي وابن مسعود : " وهذا بعلي شيخ " بالرفع بقوله : " الرفع من خمسة أوجه تقول : هذا زيد قائم : فزيد بدل من هذا وقائم خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون هذا مبتدأ وزيد قائم خبرين، ويجوز أن يكون (قائم) مرفوعا على إضمار هذا أو هو، ويجوز أن يكون مرفوعا على البدل من زيد والوجه الخامس أن يكون هذا مبتدأ، وزيد مبنيا عنه وقائم خبرا " (٢) .

* ويقول مكي بن أبي طالب: " فلا يجوز إلا بما روي وصح عن الثقات المشهورين ووافق خط المصحف "(٣) .

* ويقول أبو عبيدة معمر بن المثنى : فإن قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه، قيل له : كل ما كان منها موافقا لمصحفنا، غير خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به " (٤) ، وقال في موضع آخر : " وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام " (٥) .

---

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ١٢٦ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٠٢، ١٠٣ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ١ / ٦٩ .

(٤) تأويل مشكل القرآن الكريم ٤٢ .

(٥) السابق ، ص ٣٨ .

والملاحظ على موقف معظم النحاة بعد سيبويه أنهم كانوا يوسعون دائرة قواعدهم النحوية لتشمل هذه الحروف، ويعنون بها عناية كبيرة، فهدفهم الأول هو القواعد النحوية، وفي المرتبة الثانية خدمة النص، حتى ولو كان من نصوص القرآن الكريم، ومن هنا وجدنا لبعض منهم خروجا عن هذا التوجه العام الذي يناصر رسم المصحف، ويقبله، ويستنبط منه بعض القواعد .

فعندما قرأ ابن عامر " قتل أولادهم شركائهم " (١) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف قال الزمخشري : " فشيء لو كان في مكان الضرورات - وهو الشعر - لكان سمجا مردودا ...

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف - شركايهم " مكتوبا بالياء " (٢) .

لكن هذا التوجه قليل جدا إذا ما قورن بالاتجاه العام الذي رصدناه في بداية الحديث .

---

(١) سورة الأنعام : ١٣٧ ، والقراءة المشهورة " قتل أولادهم شركاؤهم " .

(٢) الكشاف ٢ / ٥٥ .

المبحث الثاني

أثر رسم المصحف في النحو العربي

بعد هذه الجولة مع سيبويه ، وبيان أثره فيمن أتى بعده، نستطيع أن نجزم بأن دراسة مثل هذه الحروف من مظانها المتعددة ستعود على النحو العربي بأعظم الفائدة ؛ لأن هذه الحروف – كما سبق – تكفلت ببناء قواعد جديدة، وأكدت قواعد موجودة، وبهذا يمكن أن نخلص النحو من كثير من المسائل الخلافية؛ لأن هذه النصوص لها قدسيتها، ويجب أن تحترم طرق بنائها وتراكيبها، ويجب علينا كذلك أن نقدمها على غيرها من كلام العرب شعره ونثره، وأن تعدل قواعد النحو لتستوعب كل ما تأتي به هذه الحروف التابعة لرسم المصاحف العثمانية أو مصاحف الصحابة .

وسأرصد فيما يأتي بعض القضايا النحوية التي يمكن أن تفيد النحو العربي من دراسة هذه الحروف الواردة في رسم المصحف :

- عمل " إذن " المسبوق بعاطف النصب في الفعل المضارع :

يثبت هذا الحكم بقراءة " وإذن لا يلبثوا " (١) .

- " لو " المصدرية :

ثبت هذا الحكم بقراءة " ودوا لو تدهن فيدهنوا " (٢) .

---

(١) سورة الإسراء : ٧٦ ، وانظر: الكتاب ٣ / ١٣ .

(٢) سورة القلم : ٩ ، وانظر: الكتاب ٣ /٣٦ .

- قطع المعطوف عن المعطوف عليه :

ثبت هذا الحكم بتوجيه إعراب (المقيمين) في قوله تعالى :" لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة " (١) .

- دخول لام الابتداء على خبر (أنّ) المفتوحة :

ثبت هذا الحكم بقراءة سعيد بن جبير :" إلا أنهم ليأكلون الطعام " (٢) .

- إعمال (إنّ) المخففة من الثقيلة المكسورة الهمزة عمل ليس :

ثبت هذا الحكم بقراءة سعيد بن جبير : " إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم " (٣) .

- دخول لام الأمر على المضارع الموجه للمخاطب :

ثبت هذا الحكم بقراءة : " فبذلك فلتفرحوا " (٤) .

- وقوع أن المخففة من الثقيلة بعد ما يفيد اليقين :

---

(١) سورة النساء ، ١٦٢ ، وانظر: الكتاب ٢ / ٦٣ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٠ ، وانظر مغني اللبيب ١/ ٢٥٧ .

(٣) سورة الأعراف: ١٩٤ ، وانظر مشكل إعراب القران ١ / ٣٣٨ .

كما توجد مواضع أخرى كثيرة جمعها السجستاني في كتابه المصاحف، يمكن الرجوع إليها ودراستها دراسة موسعة للخروج بنتائج علمية يمكن أن تضيف جديدا للدرس النحوي (٣)

(٥) سورة يونس : ٨٥ ، وانظر: المقتضب ٢ / ٤٥ ، والجني الداني ١١١ .

ثبت هذا برسم قوله تعالى : " لئلا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء " (٥) .

- عمل (ما) الحجازية :

ثبت هذا برسم قوله تعالى :" ما هذا بشرا " (١) .

- ضمير الفصل لا محل له من الإعراب بدليل جواز حذفه :

ثبت هذا برسم قول الله تعالى :" فإن الله الغني الحميد " (٢) .

- اللام الواقعة في خبر (إن) المخففة من الثقيلة هي الفارقة وليست الابتداء:

يرجح هذا برسم قوله تعالى :" وإن كاد مكرهم لتزول " (٣) .

- جواز حذف الصفة :

يرجح هذا بقراءة قوله تعالى :" يأخذ كل سفينة صالحة غصبا " (٤) .

---

(١) سورة يوسف : ٣١ وانظر الكتاب ١/ ٥٩ .

(٢) سورة الحديد : ٢٤ / وانظر الفتح الرباني ١٢١ .

(٣) سورة إبراهيم : ٤٦ وانظر مختصر شواذ القراءات ٦٩ والمحتسب ١ / ٣٣٦ وجامع البيان ١٣ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٤) سورة الكهف :٧٩ ، وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، انظر : البحر المحيط ٦ / ١٩٢ .

الخاتمة

- أقر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاختلاف في القراءات التابعة لرسم هذه المصاحف .
- الاختلاف الكائن بين المصاحف ليس اختلاف تضاد، ولكنه اختلاف تغاير، وله فوائد متعددة .
- لا يوجد في المصاحف لحن أو أخطاء . ولكن للخط آنذاك طريقة خاصة في رسم الكلمات .
- احتجّ سيبويه برسم المصحف، ولم يفرق بين ما ورد في المصحف الإمام ومصاحف الصحابة .
- بنى بعض القواعد النحوية محتجا بما ورد في مصاحف الصحابة.
- أكد بعض القواعد بشواهد رسمت في هذه المصاحف وهي غير موجودة بالإمام .
- قبل النحاة بعد سيبويه هذه الحروف، وبنوا عليها بعض القواعد النحوية ورجحوا من خلالها كثيرا من آراء النحاة .
- دراسة هذه الحروف دراسة لغوية ونحوية يساعد في حل كثير من المشكلات التي تواجه الدارسين .

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥/٢٠٠٤ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨ .
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد .
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ، تحقيق حسن حمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨/ ١٩٩٨. .
- البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار التراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ ، ١٩٧٣ .
- التبيين للعكبري ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١/٢٠٠٠ .
- التخمير (شرح المفصل في صنعة الإعراب) للخوارزمي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .

- تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، تحقيق الدكتور عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣/٢٠٠٢ .
- تقييد العلم، الخطيب البغدادي، مراجعة : الداني منير آل زهوي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢/٢٠٠١ .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدر أباد، ١٣٢٧ .
- الجامع لأحكام القرآن الكريم ، للقرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٦/٢٠٠٥ .
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ .
- دراسات في كتاب سيبويه ، د/ خديجة الحديثي ، دار المطبوعات ، الكويت ، د. ت .
- الدر المصون للسمين الحلبي ، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٥ .
- ديوان جرير ، تحقيق : نعمان أمين طه ، دار المعارف ، مصر، ط ٣ .
- ديوان رؤبة بن العجاج ، تحقيق : وليم بن الورد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم : دوافعها ودفعُها ، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق/جدة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣/١٩٨٣ .

- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ١٩٦٠/١٣٨٠ .
- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، د / شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام / القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩/١٤١٩ .
- رصف المباني للمالقي ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢/١٤٢٣ .
- سيبويه والقراءات ، الدكتور / أحمد مكي الأنصاري ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩/١٤١٩ .
- شرح الرضي على الكافية ، تحقيق د/ حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ، و د/ يحيى بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣/١٤١٤ .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢/١٤٠٢ .
- شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١/١٤٢٢ .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧/١٤١٨ .

- الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، للدكتور محمد محمد محمد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩٤/١٤١٥ .
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د/ عبد العال سالم مكرك، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥/١٣٨٤ .
- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، الدكتور محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩/١٤٩٩ .
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤/١٤٢٥ .
- كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون، تحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠/١٤١٠.
- كتاب المصاحف للسجستاني، تحقيق الدكتور محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢/١٤٢٣ .
- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢ .
- الكشاف للزمخشري، تحقيق الدكتور عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١/١٤٢١ .
- المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور/عزة حسن ، مديرية إحياء التراث، دمشق، ١٩٦٠/١٣٧٩ .
- مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ، نشر برجشتراسر ، القاهرة .

- المدارس النحوية، الدكتور / شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة .
- مشكل إعراب القرآن الكريم، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د / حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤/١٤٠٥ .
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .
- معاني القرآن للفراء، تحقيق / أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار ، دار السرور ، (د. ت) .
- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق / حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨/ ١٩٩٨ .
- المقتضب للمبرد، تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤ .
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، مراجعة، محمد على الضباع ، دار الفكر .
- همع الهوامع للسيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ / ١٩٩٨ .